المبحث السادس

الإعجاز الدعوي في القرآن الكريم

❑ الإعجاز الدعوي:

نقصد به هو ذلك الإعجاز الحاصل في بيان العقيدة الصحيحة بكل تفاصيلها، والإعجاز في الوصول بها إلى مكامن النفوس بحيث تستقر فيها وترسخ نقية صافية من كل غبش، والإعجاز في تحويلها -بعد بيانها- إلى قوة فاعلة في شتى مجالات الوجود الإنساني.

والعقيدة التي جاءت بهذا القرآن هي عقيدة التوحيد. وهي عقيدة الأنبياء جميعاً وأنها لم تدخل إلى نفوس الناس من كل منافذها كما دخلت عن طريق هذا الكتاب، ولا كانت مؤثرة في واقع الحياة على أوسع نطاق كما انبثقت من هذا الكتاب. ولا عجب فإن القرآن هو كلمة الله الأخيرة إلى البشرية جمعاء، التي اكتمل بها الدين، قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾(1).

ومن الإعجاز الدعوي:

المطلب الأول: مشكلة البشرية

حيث نرى أنَّ مشكلة البشرية الكبرى لم تكن إنكار وجود الله، إنما كانت هي الشرك. ودعك مما سرى في الجاهلية المعاصرة من إلحاد ينكر وجود الله، فقد نشأ من ظروف خاصة، وهو لون خاص من الانحراف لم يقع بصورته تلك في أي جاهلية من جاهليات التاريخ. والذين حكى

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

القرآن عنهم أنهم قالوا: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2] ونجد أيضاً أنَّ المرض الأكبر في الجاهليات هو الشرك[3]. وهو الذي أرسل كل رسول لينتزعه من نفوس قومه. ثم أرسل الرسول الأعظم ﷺ لينتزعه من قلوب البشرية جمعاء، فآمن به من قدر له الهدى، وأبى من أبى بقدر من الله.

المطلب الثاني: عبادة الشيطان

والشرك -وتوابعه- يسميها الله تعالى «عبادة الشيطان»، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[4] والأصل في الفطرة هو التوحيد، ولكن الشياطين يحاولون دائماً إخراج الناس من صفاء التوحيد إلى كدر الشرك.

وقد ينشأ من فساد في الفطرة يهبط بها عن حالتها السوية التي فطرها الله عليها، والتي تتسع للإيمان بما تدركه الحواس (عالم الشهادة) والإيمان بما لا تدركه الحواس (عالم الغيب)، فتنحصر في الإيمان بما تدركه الحواس، وتنشئ آلهة محسوسة، تتعبدها بدلاً من الله ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[5].

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٤.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٢٥.

(٣) ينظر: الإعجاز اللغوي: ٣٤٩-٣٥٠-٣٥١.

(٤) سورة يس، الآيتان: ٦٠-٦١.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

وقد ينشأ من تضخيم الذات، فيعبد الإنسان ذاته، أو بالأحرى أهواءه وشهواته.

ونجد إنَّ الإعجاز في كتاب الله تعالى يعرض لهذه الأسباب كلها، لا يغادر شيئاً منها فيبرزها، ويندد بها، ثم يعالجها، قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1].

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[2].

﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾[3].

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾[4].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[5].

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٨.

(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢٩.

(٤) سورة يس، الآية: ٧٧-٧٨.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًاۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(١).

تلك كانت أفكارهم ومعتقداهم وسلوكياهم التي يعيشون فيها، والتي تصدهم عن الإيمان بالله واليوم الآخر والوحي والنبوة، ولها في حسهم ثقل الأمر الواقع من جهة، وثقل الأمر الموروث من جهةٍ أخرى. ويتوهمون أهم على دين إبراهيم، ويحتفظون ببعض ما كان في دين إبراهيم ﷺ، فيعظمون الكعبة، ويحجون إلى البيت الحرام، وإن كانوا يرتكبون في حجهم مخالفات ما أنزل الله بها من سلطان.

والقرآن الكريم يتنزّل مرة بعد مرة ليبيّن العقيدة الصحيحة من جهة، وليفنّد أوهام المشركين واعتراضاهم من جهةٍ أخرى، تارةً بيان ما اشتملت عليه من سخف لا يقبله منطق ولا عقل، وتارةً ببيان الأسباب الدافعة لهم إلى التمسك بالشرك وعدم الإقلاع عنه، وأها أسباب تنبع من انطماس في البصيرة، وانحراف في الفطرة.

المطلب الثالث: تعريف الناس بحقيقة الإلوهية

وكانت الأداة الكبرى في كل ذلك هي تعريف الناس بحقيقة الإلوهية، وبتفرد الله تعالى بالرزق والخلق والإنشاء والتدبير، وانتفاء هذه العضات كلها عن الآلهة المزعومة التي يتمسكون بها، بحيث يتبيّن عجزها، فتسقط إلوهيتها المزعومة، وتسقط استحقاقها للعبادة مع الله أو من دونه...(٢).

(١) سورة لقمان، الآية: ٧.

(٢) ينظر: الإعجاز اللغوي: ٣٥٤-٣٥٥.

وقال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (١٦٣) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[(١)] لوحة عريضة واسعة حافلة بالحيوية والحركة، والإيحاءات والدلالات.. إنها مشاهد معروضة أمام الحس البشري، ولكن الحس يتبلّد أحياناً فيغفل عما فيها من الإيحاءات، ويمر بها لا يكاد يعيرها اهتماماً. لكن القرآن يحيي المشهد بأسلوبه الفريد، فينتفض حياً متحركاً، فيلتقط الوجدان ما يرسله من الإشارات. إنَّ السماوات والأرض المذكورة في الآية ليست هي ذلك المشهد المكرر المألوف الذي كان يراه الإنسان، فلا يهتز له وجدانه، فيغفل عن الحقيقة الكامنة فيه، وهي أنَّ السماوات والأرض مخلوقتان، وأن الله هو الخالق!

إنَّ الحس المتبلّد يراهما موجودتين دائماً أمامه، فيغفل وينسى! ولكن السياق القرآني يوقظه من أول لفظه إلى الحقيقة المنسية.. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهما ليستا موجودتين من ذات نفسيهما، ولا هما أزليتان. إنما هما مخلوقتان، أي: أنهما لم تكونا موجودتين ثم وجدتا[(٢)].

وهي حقيقة هائلة، تترتب عليها حقائق أخرى.

فأما الجاهلية العربية فقد كانت تقر أنَّ الله هو الذي خلق السماوات والأرض: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٦٣-١٦٤.

(٢) ينظر: الإعجاز اللغوي: ٣٦٢-٣٦٣.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] ولكنها لم تكن ترتب على هذه الحقيقة مقتضاها الطبيعي المباشر، وهي أنَّ الإله الذي خلق هو الحقيق بالعبادة وحده بلا شريك. وأما الجاهلية المعاصرة فقد أدركت أنَّ هذه القضية ذات شأن كبير، وأدركت أنَّها إن أقرت بأنَّ الله هو خالق السماوات والأرض فقد لزمها أن تعبده، فنفت أنَّ الله هو الخالق، وراحت تتخبط على غير هدى. نقول مرة: إنَّ الكون قد وجد من ذات نفسه بغير موجد، وتارة أخرى تردد قولة: دارون الحمقاء: الطبيعة تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها على الخلق! كلتاهما جاهلية! وكلتاهما في حاجة إلى هداية الله![2].

المطلب الرابع: مخاطبة الفطرة

يدخل القرآن إلى النفوس في قضايا العقيدة من كل منافذها وأقطارها، فلا يترك منفذاً لا ينفذ منه، ولا يترك مدخلاً لا يطرقه ليوصل العقيدة الصحيحة إلى القلوب. وتوجد في النفس البشرية منافذ فطرية، أودعها الله في الفطرة لتتعرف على خالقها، وتتوجه إليه بالعبادة، ومن هذه المنافذ أنَّ القرآن ينفذ إلى النفوس، فيوقظها من غفلتها، فتنبعث متوجهةً إلى الله. ولا عجب في ذلك، فالله هو خالق الفطرة، وهو مترل القرآن ليلتقي بالفطرة النقاء كاملاً شاملاً مفصلاً، فيلتقيان على تعارف كامل وتوافق واتساق! ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3] الكون بضخامته المعجزة يروع الحس

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٥.

(٢) ينظر: إرهاصات الرقم سبعة في القرآن الكريم: ١٤٩، وينظر: الإعجاز اللغوي: ٣٦٣.

(٣) سورة الروم، الآية: ٣٠.

البشري، فيروح يتأمل في هذه الضخامة التي يعجز عن الإحاطة بها، فيرد على الخاطر سؤال فطري لا يملك الإنسان دفعه: من خالق هذا الكون؟ فيهتدي إن كتب له الهدى، فيعلم أنَّ الله هو الخالق، أو يضل فيتصورها إلهاً آخر أو آلهة أخرى غير الله ينسب لها الخلق. ولكنه -حتى في ضلاله- لا يتصور أنَّ الكون يمكن أن يوجد بغير خالق.

«ودع عنك ضلالات الجاهلية المعاصرة التي أكدت نتيجة ظروف خاصة في أوربا غير مسبوقة في البشرية. وحتى هذه لم تستطع أن تتهرب من هذا السؤال الفطري، فنسبت الخلق إلى الطبيعة! التي قال عنها دارون إنَّها تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها على الخلق! فابتدع إلهاً خالقاً -غير الله- وأفضت عليه بعض صفات الله تعالى والخلق والتدبير، ولكن كانت أهم صفة في هذا الإله المزعوم أنَّه ليست له كنيسة تضطهد النساء، وتطاردهم في يقظتهم ومنامهم! وتلك كانت عقدة الجاهلية المعاصرة التي أدت بها إلى الإلحاد!»(١).

والكون بدقته المعجزة يروع الحس البشري كذلك. فهذا الكون ليس ضخماً فقط، وليست ضخامته التي تتجاوز كل تصور هي وحدها التي تروع الحس، ولكن يروعه كذلك أنَّه مع ضخامته تلك دقيق إلى درجة معجزة.

ولهذا فإن الإنسان يهتدي إن كتب الله له الهدى، فيعلم أنَّه الله ﷻ، أو يضل فينسب الأمر إلى آلهة مزعومة، أو يغفل عن إيقاعات الكون غفلة تامة فكأنَّه في حسه غير موجود(٢).

ونجد إنَّ النماذج في كتاب الله كثيرة. منها تصريف الرياح، والسحاب المسخر بين السماء والأرض كما ذكر في آية البقرة (١٦٤)، ثم بيّن الله تعالى

---

(١) ينظر -إن شئت- حديثاً مفصلاً عن هذه القضية في كتاب (مذاهب فكرية معاصرة).

(٢) ينظر: الإعجاز اللغوي: ٣٥٩، وينظر: الإعجاز العددي في القرآن بين الحقيقة والوهم: ٩٦.

في الآية الكريمة السحاب المسخر بين السماء والأرض فيقول عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾(1) وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾(2) وقوله عز وجل: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾(3) وقوله أيضاً: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾(4) وقال أيضاً: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾(5) ففي الآية الأولى يصف الله سبحانه وتعالى كيفية تكوّن السحاب التراكمي بمراحله المختلفة، وذلك في وقت لم يكن أحد قد صعد إلى الأجواء العليا ولا علم شيئاً عن تراكم السحاب.

وفي النص الثاني يجيء ذكر السحاب مع ما يصحبه من رعد وبرق وصواعق، في معرض القدرة الإلهية من ناحية، وجدال الكفار حول الإلوهية من جهة أخرى، لبيان تهافت هذا الجدل وقيامه على غير أساس.

---

(1) سورة النور، الآية: ٤٣.

(2) سورة الرعد، الآية: ١٢-١٣.

(3) سورة النور، الآية: ٤٠.

(4) سورة الروم، الآية: ٤٨.

(5) سورة فاطر، الآية: ٩.

وفي الآية الثالثة يجيء ذكر السحاب جزءاً من لوحة الظلام المطبق التي تحدث في المواجهة الرائعة بين أنور نور وأظلم ظلام.

وفي الآيتين الرابعة والخامسة إشارة إلى إرسال الله للرياح فتثير السحاب الذي يصرفه الله كيف يشاء. ولكنا نلاحظ التنويع بين قوله تعالى في الآية الأخرى ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ وقوله في الآية الأخرى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ والاختلاف مقصود للتنويع. ولكن الآية الأخيرة فيها إضافة أحدثها تغير زمن الفعل (مضارع في الأولى وماضٍ في الثانية) فقوله تعالى: ﴿أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ تفيد أنَّ من شأن إرسال الرياح أن تثير سحاباً. كأنَّما أوكل الله إلى الرياح أن تقوم بهذا الأمر، تكليفاً منه ﷻ. فحين يرسل الله الريال تقوم هي بما كلفها الله به، فتثير السحاب! وهذا وذاك من أمر الله وتدبيره، ولكن التنويع يضيف إلى المشاهد غنى، ويجدد تأثيرها في النفس، وإن تشابهت الألفاظ(1).

ونجد إنَّ النصوص القرآنية تركّز كثيراً على خاصية الإحياء -التي هي خاصية إلهية- لتثبيت قدرة الله على إحياء البشر يوم القيامة بعد أن يكونوا قد أصبحوا عظاماً ورفاتاً. وتأخذ هذه القضية حيزاً واسعاً في النصوص القرآنية في مقابل الإنكار الشديد الذي كان العرب المشركون يواجهون به قضية البعث والنشور والحساب والجزاء حتى قالوا كما حكى القرآن عنهم ﴿هَلْ

---

(1) ينظر: الطبيعة في القرآن الكريم: ١٨٥، والإعجاز العلمي في الرياح: ٩١، وينظر: الإعجاز اللغوي: ٣٧٦.

تَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾[1] ثم يجيء التركيز على ظاهرة الإحياء والإماتة تارةً بتعبير مباشر، وتارةً في مشهد من مشاهد الحياة الدنيا، وتارةً في مشهد من مشاهد القيامة، وفي جميع الأحوال نلحظ التنويع الواضح في النصوص، كما نلحظ الإحاطة بالقلب البشري من جميع منافذه في هذه القضية كما في غيرها من القضايا، بحيث لا يملك أن يفلت من التأثر إلا أن يكون الران قد علاه كالصدأ، فلم يعد يستجيب.

ونورد بعض الأمثلة الدالة على كلامنا وضده الأمثلة هي قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[4].

هذا في باب تعريف الناس بربهم... أنَّه هو الحي بذاته ﷻ الحي الذي لا يستمد الحياة من غيره، لأنَّه هو الحي القيوم، الحي الذي لا يدركه الفناء ولا الموت[5]: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾[6]. ولا يحتاج الحس البشري إلى

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٧-٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٥٨.

(٤) سورة غافر، الآية: ٦٥.

(٥) ينظر: الخطاب الدعوي عند علماء الإعجاز العلمي في الإسلام بين العلمية والغلو: ٣٦، وينظر: الإعجاز اللغوي: ٣٧٨-٣٧٩.

(٦) سورة القصص، الآية: ٨٨.

جهد ليدرك معنى هذه الخاصية من خواص الله تعالى. فهو يدرك بالممارسة الواقعية أن الكائنات كلها تموت، فإذا كان هناك من هو حي دائم الحياة، لا يموت أبداً، فهو الإله الذي ليس كمثله شيء، وهو الذي تتعين عبادته وحده بلا شريك، لأنَّه هو المتفرد بالحياة والدوام، كتفرده بالقدرة وبالتدبير.

ويتحدث القرآن عن خاصية الإحياء والإماتة(١) حيث يقول الله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَىَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾(٣) ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَىَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَىِّ وَيُحۡىِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴾(٤) وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ﴾(٥).

وهذا إخبار مباشر بأنَّ الله سبحانه وتعالى يحيي ويميت، وأنَّه -وحده- هو الذي يحيي ويميت(٦).

❀ ❀ ❀

---

(١) ينظر: الخطاب الدعوي عند علماء الإعجاز: ٣٨، وينظر: الإعجاز اللغوي: ٣٧٩.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٨.

(٣) سورة يونس، الآية: ٣١، والروم: ١٩.

(٤) سورة الروم، الآية: ١٩.

(٥) سورة ق، الآية: ٤٣.

(٦) ينظر: الإعجاز اللغوي: ٣٧٩.